إليها النقـد الذى يشرح ويفصل دون أن يُزج فى دائرة الفن ودون أن يصبح علماً من العلوم . ذلك هو النقـد الذى يعالج الأدب مثلما يعالج الأدب نفسه الحياة ، أعني عن طريق الخيال والعاطفة

كتب (تشارلس لام) يقول :

(إنى أفضل العاطفة على العلم) وفى يقينى أن كل من له صلة بالأدب ولا يفعل مثلما يفعل (لام) يكون مخطئاً فى حق نفسه وفى حق صناعته أوفنه ؟

محمد رشاد رشدى
بكالوريوس بامتياز فى الأدب الانجليزى

٢ ـ الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند المسلمين فى العصر الحاضر

« ان صوتى قد أوقد النار القـديمة فى بلاد إيران
ولـكن العرب لا يعرفون شيئا عن تمنآتى الشعبية »
(اقبال)

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندى

حينما ننعم النظر فى شعر اقبال واتصافه بميزات خاصة فى الأزمان المختلفة نجد أنه يتمتع الآن بدور ثالث . فقد قطع قبله دورين : أولهما دور نشأته ، حين كان اقبال لا يزال فتى يافعاً وطالباً بالمدرسة . فقد بدأ اقبال يقول الشعر باللغة الأردية وهو فى صباه ، فـكان ينال به استحسان زملائه الطلبة ، ويجمعهم حوله اغتباطهم بحدة ذكائه وتفوقه عليهم فى الشعر . فـكانت شهرة إقبال فى الشعر بادئ ذى بدء محصورة بين أترابه وأقرانه ، فلما انتقل من كلية سيالـكوت إلى كلية الحـكومة بلاهور بدأ يشترك فى مجالس الشعراء ويقول القصائد للاحتفالات السنوية لجمعية حماية الاسلام الشهيرة بلاهور ، فذاع صيته بين الخاص والعام

ينتهى هذا الدور لشعر اقبال إلى سنة ١٩٠٥ ، أى قبل سفره إلى أوربا ، ويمتاز شعره فيه بسعة الخيال ، وابتكار المعانى ، ولـكنه مجرد عن دقة الفـكر والتعمق بالنسبة إلى شعره فى أدوار أخرى ، ومعظمه باللغة الأردية ، تتجلى فيه روح الحب وطلب الجمال وترحيب العشق ، وأكبر ميزة لهذا الدور أنه دور أمل لشىء غير معلوم ، ففيه تتوق روح الشاعر إلى المجهول ، وتنزع إلى الغائب ، وتضطرب ، كما يظهر لك من ترجمة بيت من أبيات هذا الدور فيما يلى ، قال :

« أنا طالب النور ، أنا قلق فى معمورة هذا العالم
أنا مثل الطفل الصغير فى ظلام الوجود الحالك مضطرب كالرئبق »

وأما الدور الثانى فهو الزمن الذى قضاه الدكتور فى أوربا ، أى من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٨ . وهذا الدور من شعر الدكتور أقل انتاجاً من الدورين الآخرين ، ويمتاز من الأول بأن أثر مشاهدات أوربا بادٍ فيه ، ولـكن روح الحب ، وطلب الجمال ، وترحيب العشق لا تزال متجلية فيه كما كانت فى الدور الأول . وقد حدثت فيه حادثة ، وهى أن الأبحاث العلمية سطت مرة بنفسية الشاعر ، فأراد أن يترك الشعر ويتوب عنه وينصرف إلى العلم ، فمنعه عن ذلك صديق قديم له كان حينئذ فى لندن ، وحاول اقناعه فلم يقتنع ، وأخيراً اتفقا على أن يستشيرا فيه أستاذه السر آرنلد . فأيد آرنلد رأى صديقه فعدل عن ارادته . وأكبر ميزة لهذا الدور أن بدأت أفـكاره الشعرية تعلو وتتسع حتى ضاق عنها نطاق اللغة الأردية الحديثة السن فمال إلى الفارسية وبدأ يعبر بها عن الهامه الشعرى

وأما الدور الثالث فيبتدئ من بعد رجوع الدكتور من أوربا إلى الهند ، أى من سنة ١٩٠٨ إلى الآن ، وهو الأهم ، إذ فيه تدرج شعره فى معاوج الكمال وتسنم سنام المجد وبلغ من دقة المعانى وعمق الفـكر وحسن البيان غاية لم تبلغها الآمال ولا نالتها الأمانى . وفيه حلت السكينة والطمأنينة فى روح الشاعر محل التوقان والاضطراب ، كأنها أدركت ذلك الغائب المجهول الذى حنت اليه طويلاً ونزعت اليه سنين ، وفيه خف عن نفسية الشاعر سلطان المحبة والجمال ، وقام مقامه توقان الحـكمة والكمال ، وفيه جادت قريحة الشاعر بما لم تجد فى الدورين السابقين ، إذ ظهرت إلى الآن سبعة دواوين ، ونحن ندعو الله أن يمد فى حياته ويوفقه أكثر من ذلك ، وفى هذا الدور أيضاً تمكن الشاعر من إبراز معالم فلسفته فى شعره للعالم ، وفيه تحققت رسالة شعره للعالم الاسلامى والشرق إذ كان فى نفسه تتساجل دوحان : روح

الحب للجمال والمجد للعشق ، وروح السلم الشرقي المتحمس الثائر . فكان في الدورين الأولين الحظ الأوفر للأولى وفي هذا الدور للثانية

حينما نحاول البحث عن العناصر التي تكونت منها نفسية الشاعر وشعره نجد أنهما قد تكونا من عناصر جمة ، منها ما هو هبة من الله كالعبقرية والذكاء ، ومنها ما هو وراثي غير كسبي ، ومنها ما هو ثقافي كسبي ، ومنها ما يرجع الى البيئة سواء أكانت جغرافية أم اجتماعية . فهذه الأصناف الأربعة من العناصر هي دعائم نفسية الشاعر ووظائف شعره

أما العناصر الموهوبة مثل العبقرية وغيرها فلا يقدر الانسان على الكشف عن حقائقها ، ولا على الفحص عن دقائقها ، وما يقدر عليه هو وصف ظواهرها بالمقارنة . فاذا قارنا ظواهر عبقرية الدكتور وذكائه بالشعراء الآخرين نجد أنه فريد زمانه ، وقريع دهره ، قد أوتي عبقرية شاملة لا يدرك شأوها ولا يلحق غبارها ، وذكاءً متوقداً لا يجارى ، وقلباً عقولاً لا يبارى ، وحدقاً حاداً لا ترام مساماته وفكرا نافذاً لا يمكن مجاراته ، وبصيرة قوية لا يجرى في مضمارها

أما العناصر الوراثية فالدكتور من نسل آرى . والآريون يمتازون بدقة الفكر وسمو الخيال عن الشعوب الانسانية الأخرى . ثم الدكتور ينتسب الى طبقة البراهمة منهم ، وهي طبقة قد سادت ولا تزال تسود بحدة ذكائها ورجاحة عقلها وحصافة رأيها جميع الطبقات الاجتماعية الأخرى في الهند منذ آلاف من السنين ، فدقة الفكر وسمو الخيال بالقوة[1] عنصران وراثيان هامان في نفسية الدكتور وشعره

وأما العناصر الثقافية الكسبية فهي التي يكسبها الانسان بواسطة التربية والتعليم . فقد بلغ فيهما الدكتور رفعة لا تسامى ومنزلة لا تغالب ، إذ تعلم في معاهد الشرق والغرب ونال منها أرقى الشهادات وأعلاها بالتفوق والامتياز وهضم الثقافتين — الشرقية والغربية — في معناهما الحقيق . فهو على اطلاع تام بالفكر الشرقي — الهندي والايراني — بجليه وخفيه وتاريخه وتقدمه ، كما هو عالم متبحر في الفكر الغربي بجميع أدواره وتحولاته ، سواء كان عند اليونان أو الرومان ، أو الانجليز أو الألمان ، أو فرنسا أو أمريكا . وقد سبر الدكتور غور الفكر السامي العربي أيضاً وبخاصة الاسلامي منه كما تميط اللثام عن ذلك مصنفاته ، وقد أشار إليه هو أيضاً في خطاب حيث قال :

« أنا قد صرفت معظم حياتي في دراسة فقه الاسلام وسياسته وحضارته ومدنيته وأدبه ؛ فبناءً على دراستي الطويلة هذه وعلى العلاقة الخاصة التي لي بروح تعليم الاسلام أعتقد أنني على بصيرة أقدر بها أن أحكم على منزلة الاسلام في العالم من حيث الحقيقة العامة »

والدكتور حائز في جميع هذه العلوم والمعارف درجة الاجتهاد

وأما العناصر التي ترجع إلى البيئة فهي صنفان : الاجتماعية والجغرافية . أما الاجتماعية فقد ولد الدكتور في مجتمع اسلامي وتربى فيه ودرس حاضره وماضيه ، فهو كأحد أركانه من محبيه الأوفياء ، وعشاقه الصادقين ، ومن أكبر الطامحين إلى خيره ومجده ، كما هو من كبار العارفين بحقيقته وصلاحيته . وهذا الحب ، والعشق ، والطموح ، والمعرفة كعناصر البيئة الاجتماعية متجلية في نفسية الشاعر وشعره ، وليس هذا التجلي عن عاطفة وتعصب ، بل عن علم وعقل ، كما سيظهر لك من المقال الذي سنخصصه لذلك في المستقبل إن شاء الله

وأما عناصر البيئة الجغرافية . فقد ولد الدكتور في مقاطعة پنجاب وتربى فيها . وپنجاب أخصب المقاطعات الهندية في سفح جبال هالايا تجرى من تحتها خمسة أنهار . فهي بهوائها المعتدل ومناظرها الجميلة التي تُفرح قلوب الشاهدين وتُؤنس أبصار المبصرين ، تملأ النفس بالمؤثرات القوية التي تربي الذوق وتُقوى ملكة الشعر ، وتُغذي الفكر . فحسن الذوق ، وحب الجمال ، والتصرف في فنون الشعر ، وجولات الفكر المتجلية في شعر الدكتور ونفسيته فيها أثر للبيئة الجغرافية

أما شعر إقبال من حيث الفن فسنتحدث عنه في مقال تال

السيد أبو النصر أحمد الحسيني الراجكي

(١) يرى معظم علماء النفس والتربية أن الصفات الوراثية توجد في الطفل بالقوة لا بالفعل أي على شكل استعدادات واتجاهات